

# أدلة من قال برأية الله تعالى في الدنيا يقضه والرد عليهم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. قال المؤلف رحمة الله تعالى: وكذلك ما روى بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل من حراء تبدي له ربه على كرسي بين السماء والأرض غلط باتفاق أهل العلم، بل الذي في الصحاح أن الذي تبدي له الملك الذي جاءه بحراء في أول مرة وقال له: اقرأ. فقلت: { لسبت بقارئ، فأخذني فغطني حتى يبلغ منه الجهد ثم أرسلني فقال: { اقرأ يا سَمْرَّيْكَ الْذِي خَلَقَ خَلْقَ إِنْسَانَ مِنْ عَلَقَ اقْرَا وَرَبُّكَ الْأَكْرُمُ الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَنِ عَلَمَ إِنْسَانًا مَا لَمْ يَعْلَمْ } } فهذا أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم. ثم جعل النبي صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي قال: { فيينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض } رواه جابر رضي الله عنه في الصحيحين، فأخبر أن الملك الذي جاءه بحراء رأه بين السماء والأرض، وذكر أنه رُعب منه فوقع في بعض الروايات: الملك. فطن القاريء أنه الملك وأنه الله. وهذا غلط وباطل. وبالجملة أن كل حديث فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينيه في الأرض، وفيه أنه نزل له إلى الأرض، وفيه أن رياض الجنّة من خطوات الحق، وفيه أنه وطئ على صخرة بيت المقدس كل هذا كذب باطل باتفاق علماء المسلمين من أهل الحديث وغيرهم. وكذلك كل من ادعى أنه رأى ربه بعينيه قبل الموت دفعواه باطل باتفاق أهل السنة والجماعة لأنهم اتفقوا جميعهم على أن أحداً من المؤمنين لا يرى ربه بعينيه رأسه حتى يموت وثبت ذلك في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما ذكر الدجال قال: { واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت } وكذلك روي هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه آخر يحذر أمته فتنّة الدجال وبين لهم أن أحداً منهم لن يرى ربه حتى يموت، فلا يظنن أحد أن هذا الدجال الذي رأه هو ربه. ولكن الذي يقع لأهل حقائق الإيمان من المعرفة بالله وبعيون القلوب ومشاهدتها وتحليلاتها هو على مراتب كثيرة، قال النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان قال: { الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك } . وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه وبقيمه، فإذا كان إيمانه صحيحاً لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في البقطة، ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق. وقد يحصل لبعض الناس في البقطة أيضاً من الرؤيا نظير ما يحصل للنائم في المنام فيرى بقلبه مثل ما يرى النائم، وقد يتجلّى له من الحقائق ما يشهده بقلبه، وهذا كله يقع في الدنيا، وربما غلب أحد هم ما يشهده قلبه وتجمّعه حواسه فيظن أنه رأى ذلك بعينيه رأسه حتى يستيقظ فيعلم أنه منام، وربما علم في المنام أنه منام، فكذا من العياد من تحصل له مشاهدة قلبية تغلب عليه حتى تفنيه عن الشعور بحواسه فيظنها رؤيا بعينه وهو غارق في ذلك، وكل من قال من العياد المتقدمين أو المتأخرین أنه رأى ربه بعينيه رأسه فهو غالط في ذلك بإجماع أهل العلم والإيمان. يرد بذلك على كثير من المتصوّفة الذين يدعون أنهم يرون الله في الدنيا، فإن من عقائدتهم أن مریدهم يتمكن من رؤية الله، وأنهم قد يستغفون عن الشر، وأن المرید، أو الأبدال عندهم والأولياء يستغفون عن الشر؛ بحيث إنهم يطّلعون على الغيب، ويأخذون من اللوح الذي يأخذ منه الملك؛ فلذلك يظهر منهم مخالفات صريحة للشريعة، فمنهم من يأكل الحرام، ومنهم من يزني، ومنهم من يترك العبادات كلها والصلوات، ويقول: إنه قد وصل إلى حالة تسقط عنه التكاليف باطلاً عنه على الغيب، ويرؤيه لله، ويأسفاته عنه ما لم يسقط عن غيره؛ حتى استدلّ عوامهم، أو كثير من خواصهم بقوله تعالى: { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } فسروا اليقين بأنه العلم: العلم اللدني، ولا شك أن هذا غلط كبير، وأن اليقين في الآية هو: الموت، الذي ذكره الله تعالى عن الكفار في قوله: { وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّىٰ أَتَيَنَا الْيَقِينُ } فالكافر أتاهم اليقين وعذابها، فاليقين هنا هو الموت. الحاصل أن هؤلاء لما كانوا يسقطون التكاليف عن مریدهم كان لا بد أن يكون لهم شيء من الحجج ومن الشبهات التي يستدلون بها، فمنهم من يقول: إنه رأى ربه، وأن ربه أسقط عنه التكاليف، وعفا عنه، بمعنى أنه: رخص له بأن لا يعبد، وأن لا يصلّي، وأن لا يحجّ، ونحو ذلك، أو رخص له في أن يفعل الفواحش، ويشرب الخمور، ويسمع الغناء، ويستعمل الرقص، وما أشبه ذلك، سقطت عنه التكاليف، وصار يفعل ما يريد. وكثير منهم يقولون: إن الله ينزل إلى الأرض، وأنه يرى، وأنه يُكلّم، أو أن أرواحنا تصعد إلى الملايين وتترى ربه وتتكلّمه، وبخاطبها بما تريده، ثم لا شك أن لهم شيئاً من الشبهات، يقولون: إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى ربه في الأرض، فلا مانع من أن الرّب ينزل إلى الأرض فيراه الخواص منهم، وخاصة الخاصة، وبخاطبهم ويكلّمونه. فمن ذلك من أدلةهم هذه الكلمة التي وقعت غلطاً، وهي في حديث نزول الوحي لأول مرة على النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حديث جبريل - وهو في حديث جابر - سمع النبي صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: { فيينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني في حراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فذعرت منه وأتيت إلى خديجة فقلت: زملوني زملوني فأنزل الله: { يَا أَيُّهَا الْمُرْزَّلُ } } . هذا الذي رأه هو: جبريل الذي رأه على كرسي، ولكنهم إما تعمدوا، وقالوا: رأيت ربي فإذا ربي جالس على كرسي، وإما أخطأ بعضهم وقلده من روى عنه ولا شك أنه خطأ فاحش وكذب. القصة إنما هي في نزول جبريل لما انقطع الوحي مدة، وذلك لأنّه عليه السلام لما نزل عليه الوحي لأول مرة في غار حراء جاءه الملك، يقول: { فغطني حتى يبلغ مني الجهد، ثم أرسلني، وقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ، إلى أن قال: { اقرأ يا سَمْرَّيْكَ الْذِي خَلَقَ } } ثم أخبر خديجة وقال: { لقد خشيت على نفسي، فقالت: كلا، والله لا يخزيك الله } إلى آخره، ثم فتر عنده الوحي، ولما فتر وانقطع ولم ينزل عليه مدة، قيل: ثلات سنين، اشتاق إلى ذلك، حتى كاد أن يلقي نفسه من شواهد الجبال، فإذا هم بذلك بدا له جبريل وقال: يا محمد أنت رسول الله، وأنا جبريل فيسكن روعه، إلى أن بعد ذلك استمر نزول الوحي، فالحاصل أن هذا أن من فهم أنه رأى ربه من هذا الحديث فقد أبعد النجعة، وإنما الذي رأه ملك الوحي.